سؤال ينتظر الجواب

لمهندس كبير

تأتينا مياه النيل سنة بعد أخرى بطريقة منتظمة متكررة ، إلا أن مقدار ما يصلنا منها يختلف فى الأوقات المختلفة من السنة نفسها كما يختلف من سنة لأخرى . ولسنا هنا بصدد البحث فى أسباب هذه الاختلافات الموسمية أو السنوية أو معرفة النتائج التى ترتب عليها لأن هذا معناه دراسة نظم الرى بالقطر المصرى .

ولكننا بصدد أن نلفت النظر إلى ناحية واحدة من هذا الموضوع وهى المماطلة فى تنفيذ المشروع الذى يدفع خطر الفيضانات العالية.

إن الخسارة التى تتكبدها من جراء هذه الفيضانات العالية الخطرة ليست بالقدر اليسير الذى يمكن إهماله أو غض النظر عنه لأنها ليست قاصرة على ما يصيب هؤلاء الذين يطغى عليهم الفيضان فيكتسح زراعاتهم ويحرمهم أرزاقهم ويعدمهم أقواتهم ، بل إن الحكومة تخسر ما تحصله من أموال هذه الجهات المنكوبة كما تتحمل مصروفات أخرى كبيرة فيما تتخذه من إجراءات لدرء خطر هذه الفيضانات وهذا بجانب ما يستحوذ على الأمة من قلق واضطراب

إن مشروع اتقاء الفيضانات العالية تدرسه الجهات المختصة ؛ وقد حصل الدارسون على معلومات وأبحاث كثيرة يدىء بدرسها ، ولكننا نتساءل ألم تكن هذه المدة كافية للوصول إلى نتيجة يصح أن تكون أساساً لقرار ينفذ ؟

إن هذه الفيضانات العالية الخطرة ليست خاصة ببيلنا وحده ، لأن هناك كثيراً من الأنهر فى البلدان الراقية تفيض على الأودية التى تجرى فيها وقد كانت فيما مضى سبباً فى نكبات ساحقة وكوارث ماحقة ، ولكنها عولجت على النحو الذى منع حدوثها أو حد من شدتها . وليس من اليسور أن نذكر هذه الطرق الفنية المختلفة التى تكيفت تبعاً لظروف كل حالة منها على حدة ، ولكننا نعلم أن وجهة النظر الفنية فى مصر تتجه إلى تصريف مياه الفيضان فى موقع منخفض قريب من مجرى النهر يتسع لاستيعاب هذه المقادير الكبيرة من مياه الفيضان ؛ على أن تحفر قناة لتصل النهر بهذا المنخفض ، فكيف لا يقرر إلى الآن أين يكون هذا المنخفض وصيانة القناة وغير ذلك وما هى النفقات التى يطلبها تنفيذ المشروع ؟

إننا لا نجد سبباً يبرر هذا التأخير غير ما سمعناه من أن ملفات هذا الموضوع تظهر وقت وقوع الكارثة حتى إذا ما مرت اختفت هذه الملفات لتظهر مرة أخرى عند حدوث الكارثة التالية . إن فى الولايات المتحدة حالة فى وادى التيس تشبه حالتنا ، فقد كانت الأمطار الغزيرة والسيول المدمرة تكتسح الوادى من وقت لآخر فتهلك الزرع وتجرف معها تربة الأرض نفسها فتتركها جرداء لا تصلح للزراعة إلا بعد مشقة ، وتبع ذلك حتماً أن عاش سكان هذا الوادى فى ذعر مستمر يحاربون الطبيعة ولا معين ، ويتلقون النكبات ولا منقذ ، إلى أن قام أولو الأمر فنفذوا المشروع المناسب لمواجهة هذه الحالة فحفروا القنوات لحصر جريان الماء حيث يريدون ، وأقاموا الخزانات والسدود ، وأنشأوا الجسور فخلقوا من الذعر طمأنينة ، ومن البؤس والفقر سعادة وثراء ، وأصبحت هذه الجهات جنات خضراء يعيش أهلها الآن فى نعيم مستديم . وزيادة على ذلك فقد أمكن توليد القوة المحركة من مساقط المياه فيها فزادها رفاهية وخيراً عميما . أما نحن فسوف يأتينا الفيضان الخطر التالى ونحن كما نحن الآن ! فهل هذا يجوز ؟

إذا كان هناك من الأسباب ما يبرر هذا الإبطاء أو التأجيل فليبينها به أولو الأمر إذا كانت الصعوبة مالية أو فنية حتى لا تصبح عرضة للوم أو التنديد .

إننا نريد أن نثبت للشعب أن الرجال الذين يشرفون على شئونه ساهرون على مصلحته يعملون على إصلاح هذه الشئون . وهذه واحدة من عدة مسائل أخرى أرى ضرورة الكتابة عنها إذا ما أردنا الخير لهذه البلاد .

« مهندس »

ثم هيهات أن تقلل هذه النقدات من خطر تلك المؤلفات . وإلا . فأين فيما ألفه السابقون كتاب كالإتقان للسيوطى ، أو شرح البخارى ومقدمته لابن حجر ، أو الفتاوى لابن تيمية ، أو المدارج لابن القيم أو المغنى لابن هشام ، أو الجموع للنووى ، أو تكملة للتقى السبكى ، أو الخطط للمقريزى . بل أين مثل ما كتبه مؤرخ مصر فى تاريخها وتاريخ أعلامها من أمثال الإدفوى وابن خلكان والتاج السبكى وصاحب الدرر ، وأبى المحاسن والصفدى ، وابن إياس والسخاوى . بل أين الموسمات التى تشابه موسمات القلقشندى والنويرى وابن منظور وابن فضل الله ؟

وبعد فهذا فيض من فيض ، وقل من كثر ، ولمحة خاطفة من شمس ضاحية ، وقبس عاجل من سراج وهاج .

(حلوان) محمود رزق سليم